

حرب ثقافية أم حرب عوذة الدين؟

ومنعتسهما خلال العمل النفسى ؟

<http://www.arabpsynet.com/Documents/DocMaecelinaCultOrReligWar.pdf>

د. مرسلىنا شعبان حسن

مطالعة نفسية - سوريا

mar-selena@hotmail.com



إن الحاجة للاعتقاد والتسليم بالمقدرة الالهية أكثر أصالة ، وبقينا عند البشر من الثقة التي يمكن ان يمنحها الانسان للإنسان مهما علا شأن هذا الانسان سواء كان عالماً او باحثاً او فيلسوفاً... يبقى الولاء لله من خلال الايمان برسول وأنبياء الله امر خير قابل للمقارنة أو القياس ، مع اي ولاءات قد تحصل لأي شخص ذو حظوة علمية او لأي زعيم ، لأن هذه الولاءات عابرة قد تتبدل من حين لآخر

ما هو مهيم اليوم على الاعلام وعلى حديث الناس حول موضوع الدين، لا يرقى في غالبه إلا إلى التثرات حول الدين ، هذه التثرات باتت مؤخراً تجتاز العالم من مشرقه لمغربيه ومن شماله الى جنوبه في السنوات العشرة الاخيرة ، بل اسبق من ذلك ..، فقد اقم الدين كمادة اعلامية رائجة وموضوع لا ينضب في الاحاديث الرسمية وغير الرسمية ، مع بداية هذا القرن الموقع بأحداث 11 ايلول ، كعنوان للفاجعة الامريكية الذين أبوا إلا ان يشاركوا كل العالم بتداعيات هذا المصاب .. فمن الهجائية السياسية الاصولية او المتعصبة التي تأتي على ذكر الدين والذاكرة والهوية ، الى الطمأنينة او الطمأننة الهادئة للخطابات الاكاديمية او الصحافية التي تصب الكليشيات الاكثر ابتذالا من دون الاهتمام بأي دقة في التوضيح وربط الامور بسياقها التاريخي ومسبباتها ، وما تفعله هذه العبارات التي تقال في عجلة على منبر اعلامي في تعقيد الواقع .

و ما هو ملموس من تداعيات هذه الديكورات ، أنها تنتج حضوراً كلياً منحرفاً للدين والظاهرة الدينية . بما يمثل من صدى عميق دائم لعذاباتنا في ظل أزماننا العديدة في عالمنا العربي والاسلامي ما لوحظ في مسيرة باريس العالمية ضد الارهاب قبل ايام ، وجدته ديكوراً مزخرفاً بفنيات حضارية ، والصبغة الثقافية لحضور فرنسا البهي طاف عليه ، هذا الحضور يمثل الصورة التي تسعى فرنسا ان تصدرها للعالم من حيث حكمتها في احتواء الأزمات ، رغم أنه لم يُعرف بعد ، ماهي وظائف هذا الديكور ؟ وماذا يُخفى ، او يحجب او يشوه ؟

المشهد الفرنسي بعد حادثة "شارلي ايبودو" كان معبر عن كل صراعات الشرق والغرب ، بما جسد من حضور سياسي شخصيات الصف الاول نموذجاً ، التي أجدها تعكس رؤية الساحة الدولية باصطفافاتها واريكاتها ، كما يعكس تساؤلات مختلفة تنصدر الواجهة من مثل : هل سنشهد نهاية اللعبة السياسية ، والغوص السياسي بالمعنى الرفيع للكلمة ، ام ان السياسي بالمعنى الاكثر انتهازية ودناءة هو المهيم اليوم ، و قد يتكمن من السيطرة كلياً على عالمنا ، متذرعاً بالحرب على الارهاب من باب الدين والمقدس لكي يتخفى على نحو أفضل ، ويبذر الرعب والهلع للذين تثيرهما هذه الظواهر في لا وعينا من هواجس حول عواقب اقضاء الدين من حياة البشر ؟

ما هو مهيم اليوم على الاعلام وعلى حديث الناس حول موضوع الدين، لا يرقى في غالبه إلا إلى التثرات حول الدين

المشهد الفرنسي بعد حادثة "شارلي ايبودو" كان معبر عن كل صراعات الشرق والغرب ، بما جسد من حضور سياسي شخصيات الصف الاول نموذجاً

من الهجائية السياسية الاصولية او المتعصبة التي تأتي على ذكر الدين والذاكرة والهوية ،

الى الطمانينة او
الطمأنة المأدبة
للخطابات الاكاديمية
او الصحافية التي
تصبه الكليشيات
الاكثر ابتذالا من
دون الاهتمام بأي
دقة في التوضيح
وربط الامور بسياقها
التاريخي ومسبباتها

هل سنشهد نهاية اللعبة
السياسية ، والغوص السياسي
بالمعنى الرفيع للكلمة ، ام ان
السياسي بالمعنى الاكثر
انتهازية ودناءة هو المهيمن
اليوم ، وقد يتكمن من
السيطرة كليا على عالمنا

لن ينتصر {الدين}
على التحليل النفسي ،
بل سينتصر أيضاً على
أمر كثيرة أخرى ،
حتى أننا لا نستطيع
أن نتخيل مدى قوة
الدين .. (جاك
لاكان: Lacan)

إن الدين ، وخصوصاً الدين
الحقّ ، له مصادر لا نستطيع
حتى الاشتباه بها . ما علينا
حالياً إلا أن نرى كيف
يتحرك بشكل زاهر ، أنه
تحرك هائل على الاطلاق ..
(جاك لاكان: Lacan)

في مؤتمر عقد في روما سنة 1974، أعلن أشهر خبير في التحليل النفسي (جاك لاكان: Lacan) في مؤتمر صحافي ، تفوق الدين على التحليل النفسي ، فقال : لن ينتصر {الدين} على التحليل النفسي ، بل سينتصر أيضاً على أمور كثيرة أخرى ، حتى أننا لا نستطيع أن نتخيل مدى قوة الدين ..
ويضيف "لاكان" : وعليه فإن الدين ، وخصوصاً الدين الحقّ ، له مصادر لا نستطيع حتى الاشتباه بها . ما علينا حالياً إلا أن نرى كيف يتحرك بشكل زاهر ، أنه تحرك هائل على الاطلاق .. (جورج فرم، 31)
وبذلك من خلال هذا المنظور اللاكاني ، يمكن القول إن تجديد الديني او انبعائه ليس سوى تجلّ حرية حقيقية مستعادة بفضل انهيار الانظمة الفكرية التوتاليتارية (الأنظمة الدكتاتورية ، وهذا النوع من النظام هو هرمي بحيث يقف الزعيم على رأس هذا النظام.) ، او ذات المنزع التوتاليتاري بما في ذلك ديكاتاتورية الافكار القرموية والعلمانية التي أدارت العالم بصيغة ليبرالية أو ماركسوية (فرم، 35)
ربما يستعيد الانسان بعداً قد أفقدته الحداثة اياه، بعد الجذور ، الهوية الاساسية ، وباختصار الرجم الدينية ، وعندها قد تكون هذه المكتشفات او الاستعدادات خيراً لنظام ديمقراطية ما بعد الحداثة .
صحيح ان (قوى الشر) هي في نظر المحافظين الجدد في التواتر السياسية القريبة ، واقعة في عالم الاسلام المتخلف ، وقد تحاول تقويض هذا الفتح الجديد للديمقراطية ، ولكن شنت عليها بلا هوادة ، حتى اختلفت (الحلفاء) حول المسائل الممكن استعمالها في هذه الحرب الشعواء ضد الارهاب في العراق وسوريا بدعوى محاربة نظام الدولة الاسلامية في العراق والشام المعروف اختصاراً (بداعش) .
من المهم القيام بتوضيح لمعلوماتنا ، ولمفاهيم وأنظمة ادراكنا للعالم ، التي تبدو اليوم وكأنها تثبت كورق الربيع أو هي في تجدد ، يتوقف الاختيار في التشخيص بين ظاهرة الازمة السياسية ، و الازمة في النظر الى الديني أو حول ظاهرة التجدد وفق مقتضيات الشرّق الجديد ، في كل ما يتصل بوسائل تحسين ادواتنا نحو ارساء حياة حرة كريمة، ولكن لا تعدو كونها شعار يردد ..
هناك قوانين أربعة ما من مجتمع انساني إلا عرفها ، وما من مجتمع انساني إلا نسبها الى بعض اعضائه مهما علت مكانته :

- 1- النهي عن الكذب
- 2- وعن القتل
- 3- وتحريم الزنا بالمحارم
- 4- ثم الالتزام برد العطاء ..

هذه القوانين ليست شرعية انما يأتي الاحتكام لها ، لكونها موضوعة من قبل الأسلاف ، او تناقلها الاجداد بأنها خرجت من نطاق البشر ، اي موضوعة من كائن خالق يعلو البشر ..
وفقا "لجاك لاكان" لم يكن لوجود التحليل النفسي من دون ظهور خطاب العلم ، فموضوع التحليل النفسي هو موضوع العلم نفسه لان انسان العلم هو انسان مريض حكماً عبر تهميش ذاتيته .
"باسكال" عالم الفيزياء الفرنسي الشهير قال ذات يوم : بقدر ما نكتسب من المعرفة العلمية بقدر ما نقترّب من الخالق اما "ديكارت" الذي بدأ معه الخطاب بالمفهوم البنيوي ، والذي وظّفه "جاك لاكان" وفق نظرية الكوجيتو الديكارتية حيث كان هدفه من الشك للوصول الى يقين وجود الذات ، وكان يتساءل اذا كان حقاً الله موجوداً ، فكيف يمكن تجنب الوقوع في شرك اله مزيف اي الشيطان ، اذ لا بد من وسيلة لاكتشاف الله الذي يؤسس وجوده علامات فكرية مختلفة.
وكان تحرك "ديكارت" الفكري منذ البداية تتحكم فيه دواعي الأبحاث البيولوجية ، وعبارته الشهيرة "اني افكر اذا انا موجود" تمثل جواباً مقتضباً ، ونجد في هذه الجملة شقين ، اني افكر حتى لو كان تفكيري هو الشك ، هذا دليل ثابت ويقين على وجود ذاتي ، فهذا مبدأ عقلائي كمعادلة حسابية تمكنه من اكتشاف الله الحقيقي وتجنبه للترتيب ، هذا المنطق كان له تداعيات لا حصر لها على تطور

الفكر الانساني ، فأن أشبه بعملية جراحية بدأت تفصل ما بين وجود الله ، وما بين وجود الذات انطلاقاً من "الكوجيتو الديكارتي" الممثل كنواة للفكر العقلاني العلماني الجديد ، مما أدى الى استقلالية الفكر الانساني ، وحرية تحركه في كل الاتجاهات واصبح هنالك معادلة رائجة ، اننا بقدر ما نفكر ، بقدر ما نقرب من يقين واثبات وجود دون اللجوء الى الخالق ، لان الانسان يبدو في حل عن اسباب واهداف الله ، من هنا بدأت الحقيقة العلمية مدخلاً الى معرفة قدرة الله الخالق ، وهذا المنطق أدى الى ان حرية الفكر بالتحرك ، والتي تبقى دائماً صحيحة ما دامت تشير الى اله الحق والحقيقة المطلقة .

حيث الخالق لا يمكن ان يخطئ ويصلح نفسه في آن واحد ، فهو متعادل وكامل منذ خلق الكون ، إذ لا بداية ولا نهاية له .

مقابل المصير الانساني المتناهي الذي عبر عنه الفيلسوف "هيدغر" بأن "الانسان كائن للموت" اما وجود الله فهو لا متناهي ، وهذا الفهم الانساني لفكرة الخلق للكون المتناهي ، ولد شعوراً بالغربة والخوف الشديد اذ يوجد حدّ لذلك الأ بوجود تصور للخالق ، مما يجعله يستأنس بوجوده ، ولا يشعر بالغربة في اي مكان وجد فيه فهو دائماً تحت رعاية الله .

وبذلك ان عقلانية الانسان تتفعل وتحرر من الرقابة الالهية لتطلق المجال لكل انواع الاختراعات التكنولوجية والاكتشافات البيولوجية دون ان تفكر بما يرضي او لا يرضي الخالق لأنها لا تعرف اسبابه ، حتى تصيح أسيرة القدرة المطلقة للفكر التكنو علمي (scientifique teltechno)

اي بمعنى بزوغ العلم الجديد الذي هو مكون من ارقام ، وحروف صغيرة يمكن اذا تمت المعرفة التعامل بها ، ان نرسل صاروخاً الى القمر ونعيده الى الارض دون ان نغادر غرفة العمليات في الناسا .

ان الاكتشافات العلمية التي بدأت تنتشر في العالم دون رقابة ، بدأت تخيف العلماء انفسهم من عواقبها ، مثال ذلك الانجاب الاصطناعي (pma) . او طفل الانبوب العلم الجيني ، وامكانية التصرف وتحوير الموروث الجيني (الاستنساخ) ، وعلى النقيض اكتشاف الاسلحة ذات الدمار الشامل الذي ينتج عنها ارتهان الانسان الحديث بالمستهلكات التكنولوجية ، لنجد بعين الاحباط الشديد كيف أن :

الانسان يعاني من اكتئاب عالمي مرافق لعولمة العالم واتصاله بمؤثرات واحدة .. ولو اختلفت مستويات التعامل مع هذه التقنيات الحديثة الميسرة للتواصل بين البشر .. ووجود الجهاز النفسي المعروف بالأنا العليا ، تم اكتشافه لأول مرة من خلال دراسة الاكتئاب وفقاً ل"فنيخل" (ص : 378)

حيث ان الانسان ومنذ البدء ليس لديه تصور لفكرة الخلق للكون اللامتناهي مما يولد لديه شعوراً بالغربة والخوف الشديدين ، فلا يوجد حدّ للكون إلا بوجود تصور للخالق ، مما يجعل الانسان يستأنس بوجود الخالق وبذلك لا يشعر بالغربة في أي مكان وجد فيه فهو ضمن هذا الفهم والادراك دائماً تحت رعاية الله .

ويستشهد البروفسور عدنان حب الله بقول (لرولاند شماما) في كتابه "الفصل والحدثة" : من قطع العلاقة المسبقة للعالم الما قبل علمي ، مما يجعلنا نستنتج وفقاً للبروفسور "عدنان حب الله" ان الذات العلمية ستحدد بشكل سلمي ، حيث يقول "شماما" في كتابه المذكور سابقا في (ص70) أن الانسان لا يتطابق مع صورة العالم ، ولا يستطيع أن يجد ذاته في هذا العالم ، ليصل للفكرة المدعمة بضرورة الاستسلام لمشية الله ، بما أن الانسان لا يعرف شيئاً عن دواعي الخالق ، فلا داعي لأن يقلق نفسه سوى بالاستسلام لمشيته .. (العلم والدين والتحليل النفسي ، ص12)

لنصل لم أكد عليه (جاك لاكان) بالنسبة لموقع الدين بقوله : منذ البدء ، كل ما هو دين يكمن في اعطاء معنى للأشياء التي كانت تعتبر في الماضي من الأشياء الطبيعية ، وهذا لا يعني أن الأشياء ستغدو أقل طبيعية ، بفضل الواقع ، وأنا سنتوقف لذلك عن افراز المعنى ، بل أن الدين سيعطي معنى

من خلال هذا المنظور الأكانبي يمكن القول إن تجديد الديني أو انبعائه ليس سوى تجلّ لحربة حقيقية مستعاجة بفضل انهيار الأنظمة الفكرية التوتاليتارية ، او ذاته المنزح التوتاليتاري

بقدر ما نكتسبه من المعرفة العلمية بقدر ما نفتقده من الخالق (باسكال)

من هنا بدأت الحقيقة العلمية مدخلاً الى معرفة قدرة الله الخالق ، وهذا المنطق أدى الى ان حرية الفكر بالتحرك ، والتي تبقى دائماً صحيحة ما دامت تشير الى اله الحق والحقيقة المطلقة

"الانسان كائن للموت" اما وجود الله فهو لا متناهي (هيدغر)

أن الانسان لا يتطابق مع صورة العالم ، ولا يستطيع أن يجد ذاته في هذا العالم ،

ليصل للفكرة المدعمة
بضرورة الاستسلام لمشية الله ،
بما أن الإنسان لا يعرف شيئاً
من دواعي الخلق ، فلا
داعي لأن يخلق نفسه سوى
بالاستسلام لمشيته

تختلف الأديان
وتتعارض كأنما قدر
الإنسان ألا يخدم الله
دون أن تقتدر
خدمته باستخدامه
من أجل تعزيز
نرجسية الجماعة ، أو
تعزيز ذاتيتها

أن تنظيم الأنا الأعلى لدى
النرجسيين غير متطور
under deve loped وايضاً
الأنا الأعلى يخدمهم غير ناضج
Immature

لتكون ملامح الأخلاق
النرجسية كما
حددها
(كيرنبرج، 1984)
متمثلة بالفقر
الأخلاقي وغياب
المثل العليا الناضجة

تشكل العلاقات البين شخصية
لدى النرجسيين من خلال
الذات العظيمة والذات
الحقيقية والأنا الأعلى غير
الناضجة

ترى أن الحاجة إلى الاعتقاد
تتلاقى وتندمج مع حاجة الحس
، ولا تتناقض مع حاجة
المعرفة على غرار ما يخال

لأغرب المحن ، تلك التي بدأ العلماء أنفسهم يعانون بالضبط طرفاً صغيراً من قلقها ، الذين سيجد لهذا
الحال معاني فظة ، ليس علينا إلا أن نرى كيف يجري الأمر الآن ، ليتكيف هؤلاء العلماء مع ما يحدث
" إذ في نظر (لاكان) : المحلل النفسي لا يعالج في هذه الأحوال سوى "عارض" لا يمكنه أن يدوم ،
وسوف يكتب "فرط اغراقه في المعنى، في المعنى الديني بالتأكيد .. (قرم ، المسألة الدينية، ص: 32)
إن الدين في المحل الأول هو مستقر هذه الوجهة لمحنة المجتمع وسواء ، كما يقول البعض إن
الغرب هو التمثيل الذي يجسد الرمز في حياة المجتمع الإنساني ، بما هو مجتمع إنساني ، فإن اختلفت
الاديان بعد هذا الحال ، فلأن كل دين يصنف إلى هذه السنن العامة المشتركة سنناً مستمدة من عرف
المجتمع الذي يظهر فيه ، من هنا تختلف الأديان وتتصارع كأنما قدر الإنسان ألا يخدم الله دون أن
تقتدر خدمته باستخدامه من أجل تعزيز نرجسية الجماعة ، أو تعزيز ذاتيتها .

إذ ما يميز النرجسيون أنهم يستجيبون بغضب ودهشة عندما لا يسلك الآخرون بالطريقة التي لا
يريدونها هم ، التمرکز حول الذات ، هذه الحالة النكوصية السلفية سيما في النظرة للدين وعند كل الذنات
والطوائف ، هي عودة للوراء من حيث الاكتفاء الذاتي بالأعلى ، اشبه ما يكون بحالة بدائية طفولية ..

بحيث نجد أن تنظيم الأنا الأعلى لدى النرجسيين غير متطور under deve loped وايضاً الأنا
الأعلى عندهم غير ناضج Immature

لتكون ملامح الأخلاق النرجسية كما حددها (كيرنبرج، 1984) متمثلة بالفقر الأخلاقي وغياب
المثل العليا الناضجة وتتجلى بسلوكيات واعراض من مثل :

- العظمة كرد فعل أولي للشعور بالقيمة .
- الكذب الباثولوجي
- ضعف الضمير
- الارتباب الأخلاقي من الآخرين
- وجود اخلاقيات زائفة مضللة مثل : الحسد الشديد والعدوانية وقابلية الفساد وهي
ملامح تتناقض المظهر البراق ..

رغم وجود هذه الملامح إلا أن الشخص النرجسي يتمتع بحماس ظاهر للقضايا والمسائل الأخلاقية
، ويعكس صورة انسان ذي قيمة أخلاق عالية (البحيري ،ص: 188) ، هذه الحالة الأخلاقية لدى
النرجسيين تتجلى بالإيثار المفاجئ (Altruism) هذا الإيثار المفاجئ الذي لا ينبع من اقتراب وود
حقيقيين مع الآخرين ، وإنما هو اسقاط التعظيم النرجسي على البيئة ، والتمرکز حول الذات وضعف
الضمير ، والادمان الباثولوجي للإطراء ..

تشكل العلاقات البين شخصية لدى النرجسيين من خلال الذات العظيمة والذات الحقيقية والأنا الأعلى
غير الناضجة ، فمن خلال الاحساس بأهمية الذات العظيمة ، يصر النرجسيون على كفاءتهم الذاتية
وأفضليتهم ، ويعبرون صراحة عن أنا نيتهم مما يؤدي بهم إلى افتقار المشاركة الوجدانية ، وعدم احترام
حقوق الآخرين وظهور البرود الانفعالي في التعاملات الشخصية (المرجع السابق، 198)

إن الحاجة للاعتقاد والتسليم بالمقدرة الإلهية أكثر أصالة ، ويقينا عند البشر من الثقة التي يمكن أن
يمنحها الإنسان للإنسان مهما علا شأن هذا الإنسان سواء كان عالماً أو باحثاً أو فيلسوفاً يبقى الولاء
لله من خلال الإيمان برسول وأنبياء الله أمر غير قابل للمقارنة أو القياس ، مع أي ولأيات قد تحصل
لأي شخص ذو حظوة علمية أو لأي زعيم ، لأن هذه الولاءات عابرة قد تتبدل من حين لآخر .

البروفسورة "صوفي دي ميغولا" ترى أن الحاجة إلى الاعتقاد تتلاقى وتندمج مع حاجة الحس ،
ولا تتناقض مع حاجة المعرفة على غرار ما يخال للمرء من تناقض ما بين الوهم والعقل (العلم
والدين والتحليل النفسي ، ص18) .

للمرء من تناقض ما بين الوهم والعقل (البروفسورة "صوفي دي ميچولا)

لقد وجد المقدس منذ الأزمان الغابرة ، كإحساس بدائي مستقل عن كل التعبيرات التي ألزمتنا إياها منذ بزوغ الثقافة ، فإذا تجاهلناها باسم النقد العقلاني ، يؤدي ذلك إلى نتيجة دون فائدة ، بل أيضاً إلى تعامى خطر ، يفتح المجال أمام عودة مباحة لكل ما هو سابق وهمجي ، على غرار عودة المكبوت في العمل العيادي

عندما يتصاعد المقدس إلى أعلى درجاته يتمثل في صورة الله ، ولكن ابتعاده عن الإنسان يقاس بالمسافة العلوية التي تفصله عن وجوده السلفي

الدين يستمد قوته من قدرته على خلق العلاقة الاجتماعية حيث يتداخل بها الخاص بالسياسي دون أي تعارض

أما بما يختص التزامت والتعصب العنفي ، والكلام للبروفسورة "صوفي" فهو ليس وليد الدين فقط ، إنما يطال أيضاً الفكر النظري المسيطر أو الأيديولوجيا السياسية المستبدة غالباً

لقد وجد المقدس منذ الأزمان الغابرة ، كإحساس بدائي مستقل عن كل التعبيرات التي ألزمتنا إياها منذ بزوغ الثقافة ، فإذا تجاهلناها باسم النقد العقلاني ، يؤدي ذلك إلى نتيجة دون فائدة ، بل أيضاً إلى تعامى خطر ، يفتح المجال أمام عودة مباحة لكل ما هو سابق وهمجي ، على غرار عودة المكبوت في العمل العيادي .

فعندما يتصاعد المقدس إلى أعلى درجاته يتمثل في صورة الله ، ولكن ابتعاده عن الإنسان يقاس بالمسافة العلوية التي تفصله عن وجوده السلفي .

من هنا تبدو الحاجة إلى الأديان كونها تقدم إلى المؤمن الطرق المميزة كي يتمكن من التقرب إلى الله . فالدين يستمد قوته من قدرته على خلق العلاقة الاجتماعية حيث يتداخل بها الخاص بالسياسي دون أي تعارض ، ولكن الحاجة إلى الاعتقاد وفقاً للبروفسورة "صوفي" لا تستمر بالضرورة في هذا التوظيف الاجتماعي ، ويظهر تحليل "فرويد" لتكوين المجتمعات ووظيفتها الاجتماعية كيف تسهل الأديان والأيديوجيات في تسيير السبل هذه الحاجة إلى الاعتقاد .

فهي توفر له طريقاً مباشراً ، واعتقاداً لا يتطلب سوى الانتماء إلى الجماعة ، حيث يمارس الطقوس العبادية مما يعطي لهذه الحاجة ترجمة واقعية .

أما بما يختص التزامت والتعصب العنفي ، والكلام للبروفسورة "صوفي" فهو ليس وليد الدين فقط ، إنما يطال أيضاً الفكر النظري المسيطر أو الأيديولوجيا السياسية المستبدة غالباً : إنما في الواقع كل هذه العوامل الثلاثة تتفاعل في آن واحد . (العلم والدين والتحليل النفسي ، ص 20 و21)

لقد تساءل "فرويد" كثيراً عن القوة الموجودة في الديانات التوحيدية ، وجوابه كان ينصب بأن هناك ضرورة للإنسان أن يعتقد ويؤمن بالله ، كما تساءل "فرويد" حول كيفية الصراع بين المفهوم الاعتقادي والمفهوم العلمي ، فقد كان الأمر الملاحظ من قبل "فرويد" أن هناك تدهور للمفهوم الديني في أوربا ، في حين كان تأثيره وحتى بدايات القرن العشرين ، وهنا إشارة للدين المسيحي في أوربا ، الذي كان له نفس التأثير في العصور الوسطى ولو بصور مختلفة ، وهذا وجده "فرويد" مؤثر غير جيد ، وما يعكس هذا الأمر أنه لا يعني أن الفكر تحرر من الظلام ، ولكن الأمر الذي اختلف في التعاطي مع الديني وفقاً لـ "فرويد" أن الأديان احتوت دوافعها الشريرة الغرائزية .

من هذه الملاحظة وضع "فرويد" تساؤله القلق والتي لخصه :

" إذا كان الدين لم يعد له تأثير على الفرد ، كيف له أن يكون له تأثير على الجماعة ؟"

فكيف يمكن للجماعة أن تحتوي الدوافع الغريزية الموجودة في داخلها ؟

وهذا الأمر أدى إلى كتابة مؤلفه "قلق في الحضارة" ، الذي تساءل فيه حول قيمة الثقافة بالنسبة للإنسان؟ فقد وجد "فرويد" أن الثقافة تستدعي من الإنسان أن يتنازل عن دوافعها الشريرة ، وفي المقابل ماذا تعطينا الثقافة من هذا المنع ؟ وهنا تبدأ المشكلة ، لأن عدد ضئيل من الناس هم المستفيدين من مكاسب الثقافة ، فهم يستمتعوا بالأدب والموسيقى ..

وهذا الأمر ليس معطى لكل الناس ، بل فقط لمن تلقوا ثقافة معينة ، تسمح لهم باستعمال هذه الأشياء الخيرة ، وهناك طبقة من الناس لا يقدروا أن يستمتعوا بكل هذه المعطيات الثقافية طبقاً لمعتقدهم الديني الذي يحرم عليهم ذلك ويوقعهم في الخطيئة .

فالثقافة الدينية لدى هؤلاء تطلب منهم كثيراً ، ولكن لا تعوضهم عما خسروه من هذه المعطيات الثقافية تجاه الحياة ، تطلب منهم كثيراً ولكن لا تعوضهم عما خسروه من معطيات الثقافة ، وبذلك هؤلاء الناس حكماً ليسوا أصدقاء للثقافة ، وبذلك ان تفتتح الفرصة لهم ليعيشوا كل الأمور المدمرة لهذه الثقافة .

من كون ثقافة هؤلاء المنحصرة بممنوعات ومحرمات ، هذه الطبقة بسرعة يمكن لها أن تزول بسبب الانفجار الغرائزي المدمر لدى أي إحباط يحل عليهم ، ومن هنا يكون دوماً الانطلاق القوي

بالنسبة "لفرويد" فقد كان التّفصل بين التّقافي والنّفسي هو حجر الزاوية الأساس في التّحليل ، لأن كل ما يحدث في التّقافة له محدود ترجيع للحياة النّفسية

لقد كان للعالم الاوربي جمل بثقافتنا نحن المسلمين ، هذا الجمل الكامل بالإسلام ، بأنه اليوم يتغير ببطء شديد ويتمدد في حياة الغربيين اوروبيين وامريكان على السواء

كم المصيرين من العرب والمسلمين مؤخرًا الى العالم الغربي ، يطرح اشكالية أن البعد في المنفى ، والمجرة بحرض النوازع المدمرة المختلفة عند الانسان ريثما يحدث التّكيف وربما لن يحدث

من هنا ربما مسؤولية النفسانيين العرب والمسلمين في الزمن الحالي ، تكاد تكون كبيرة في بلاد المصير ، وربما قد تفوق مسؤولية النّفساني اليوم في ظل العمل النّفسي الاثافي الذي نعيشه

الذي ليس له حدود للذّوافع الغرائزية ، والمتجل في الحرب كل حرب .

فالمعروف انه في ايام الحروب يمكن للإنسان ان يسرق، يغتصب ليعطي مخرج للغريزة منافياً الاحكام البشرية الاربعة الراسخة ..

لقد أخذ "فرويد" هذا المفهوم وأضف له : ان كان هناك قاتل في مكان ما ، يضاف له وجود ابوة متعسرة ومتخاصمة مع الابناء .

وكانت " فرضية الطوطم" التي تعني موت لهذا الطوطم المتجلي بالقضاء على الاب ومن ثم تقديسه ، هذه الفرضية تعبر اساسية بالنسبة لفكر التحليل النفسي لاسيما بالنسبة لتفسير مسار الطاقة الاودية في حياتنا ..

الاوديب الذي يعد بمثابة اسطورة انسانية ينسحب حكمها على الجنس البشرية .. إذ في بداية البشرية هناك الرّجل الذي لم يصبح اياً والذي كان يمتلك كل النساء ، والذي كان يمنع جميع صبيانه من الاقتراب ، من هؤلاء النّساء والمنع كان عن طريق القتل ، إذ بقي الحال على ما هو عليه حتى اتحدوا جميع الانباء من اجل قتل الاب الطّاعي .

وذلك عن طريق اقامة مأدبة لأكلة لحوم البشر حتى يقتلعوا جسد الاب ، لأن مفهوم لحوم البشر ، وقت توكّل تتولد عندها القوة التي كان يمتلكها هذا الجسد ، ومن هذه المأدبة تنقسم القوة الموجودة عند هذا الجسد ، وبالتالي الاخوة ينظموا المجتمع على اساس التّخلي عن القتل .

ليتحذوا معاً ويتفاسموا كل الذّخائر والنّساء .. ويكتشف "فرويد" في معرض كتابه "الطوطم والتابو" ان القوة المتناقلة بين الاخوة هي قوة مثلية لأنها قوة متناقلة بين رجال ، والزمن الثّاني سوف يوّد شعوراً بالذّنب عند كل اخ يذكرهم بالقتل الذي ارتكبه ، وبعد ان فعلوا فعلتهم سوف يجعلوا هذا الشّخص مثال لأناهم ، حيث أنهم بعد ان قتلوا هذا الاب الطّاعية يعترفوا به كأب .

القتل اولاً : في كتاب موسى والتّوحيد ، لقد توسع "فرويد" في هذا المفهوم ، حين كشف ، كيف ان اليهود جسدوا هذا القتل بقتل موسى ، ونصبوه (موسى) كأب لليهودية والشّيء المهم هنا مركزية الابوة كدور نفسي اجتماعي ، فهي عبارة عن تشكيل للفكر الانساني ، الذي يسمح للإنسان ان يقتلع نفسه من المرئي المادي من الام من اجل ان يمر من غير المرئي اللاملموس الاب ، وبالتالي (الله) ، ونجد لذلك ان وضع النّساء في الدّيانة اليهودية ليسوا احسن حال من هو واقعهم في نظرة الدّين الاسلامي لهن على سبيل المثال .

بالنسبة "لفرويد" فقد كان التّفصل بين التّقافي والنّفسي هو حجر الزاوية الاساس في التّحليل ، لان كل ما يحدث في التّقافة له مردود ترجيع للحياة النّفسية ، وبشكل خاص على كل ما يتعلّق بأصول الانسان على الاختلاف الجنسي ممثلاً بالقانون الاخلاقي ، ومن ثم بالقانون الوضعي .

فهناك علاقة عن كل ما نسميه بالهوامات الاصلية تماماً مثل الأساطير الجماعية ، الهوام الاصيلي يدعى انه يقدم تصور، وحل للطفّل في استفساراته عن أشياء يفترضها كأنها لغز .

وعند حلول الحرب العالمية الثانية "فرويد" بدأنا نجد في ابحاث تقدم دوافع الموت ، بعد ان يتوضح له أن الانسان لا يفنش كيف يعيش ؟ بل كيف يموت .ليصل إلى ان فكرة اية معاناة تخول صاحبها امتياز الحصول على لذة تعويضية ، وفكرة ان الانا العليا المطلقة ، باتت مهددة .

لقد اكتشف "فرويد" او قبل اختراع القنبلة الذّرية أنه يمكن للإنسان ان يقتل نفسه .

بالإسقاط الفكري اليوم لم نعيشه من الردات القويّة والاقصائية للعرب والمسلمين بدورهم الفاعل في الحضارة المعاصرة بصورة ملفتة مع بداية هذا القرن ، فلقد كان للعالم الاوربي جهل بثقافتنا نحن المسلمين ، هذا الجهل الكامل بالإسلام ، بات اليوم يتغير ببطء شديد ويتمدد في حياة الغربيين اوروبيين وامريكان على السواء .

في ظل الحروب والنزاعات
في بلادنا منذ عشرات السنين

الأمر المهم اليوم
للمشتغلين بالتحليل
النفسي وغيره من
التخصصات النفسية
العلاجية الأخرى ، ان
يدرك ان بداخل كل
شخص نقاط غريبة
عنده وعن الآخرين

عندما لا نشاهد مقاييس مفصلة
على كل الناس ، لابد
كنفسانيين أن نقيم وجود
مقاييس أخرى ، مقاييس تتصل
تقييم الذات والانا ، لمن هم في
حكم عملنا وموضوع تخصصنا

أما الايمان فيتخطى الطبيعة
وله طابع عقلي ، والمعنى هنا
ثابت . ولكن المتغير هو
بالاختيار والتعبير ، الذي
يمثل المدلول كمتحرك
والحال كتابته . وبذلك نجد
توفيق بين دنيوية العالم
وجذرية الايمان

الاختبار الروحي وفقاً
"ليوسف مونس" : هو اختبار
مكوّن للطبيعة الانسانية ، كما
أن الاختبار العقلي هو اختبار
ملازم للوضع البشري

وكم المهجرين من العرب والمسلمين مؤخرا الى العالم الغربي ، يطرح اشكالية أن البعد في
المنفى ، والهجرة يحرض النوازع المدمرة المختلفة عند الانسان ريثما يحدث التكيف وربما لن يحدث
، فما يفرضه المنفى كانقطاع عن السلبية الاصلية المتعششة في ذهنية هؤلاء المهجرين بنسبة غير
قليلة منهم ، حيث هي فئة تعرضت الى اضطهاد بأشكال مختلفة (سياسي وطائفي وعرقي .. وبالتالي
الشيء الذي ينتج في المنفى أو المهجر ، أن الشخص الذي يذهب الى تلك البلاد يخلق سلالة جديدة
قلقة ، وظاهرة المنفى تخلق نتائج نفسية في خاصة في هذه السلالة . ظاهرة قد تسجل قطيعة وتأسيس
من هنا ربما مسؤولية النفسانيين العرب والمسلمين في الزمن الحالي ، تكاد تكون كبيرة في بلاد
المهجر ، وربما قد تفوق مسؤولية النفساني اليوم في ظل العمل النفسي الاغاثي الذي نعيشه في ظل
الحروب والنزاعات في بلادنا منذ عشرات السنين ، هذا الامر يتطلب ان لا يتحول العمل النفسي
الى آلية تكتيكية ، بل يلزمه ان يفتح على آليات أخرى من خلال التآقف والانفتاح على الاجناس
والعلوم الانسانية الأخرى ، هذا الامر ملخصه " التأثيرات النفسية الانسانية على القادم الجديد" ، من
كونها هي الشيء الهام الذي سوف ينعكس على سلوكه ..

ان "فرويد" في المواضيع السابقة التي أشرت اليها ، خاصة موضوع الغربة المقلقة التي تتضمن
الغربة الشديدة للأخر ، وبالتالي يجعله مختلف عن الذات في مكان آخر ، فالغريب ليس الموجود على
الحدود الأخرى ، بل الغريب هو الموجود في لا وعينا ، الغريب الساكن في داخلنا ..

الثقافة وأثرها على النفس؟ :

كما اشرت سابقاً أن مهمة النفساني العربي في المهجر اليوم كبيرة وهذا الموضوع بالطبع مطروح
للنقاش والاستزادة والبحث ، فقبل ان تكون مهمة النفسانيين في اوربا وامريكا نحو مواطنينا من
العرب بعامة والمسلمين بخاصة : ان يأخذوا بعين الاعتبار ان التعبيرات المختلفة لنواحي عديدة في حياة
هذا الفرد المهجر، والوزن الثقافي الذي يحاضر لوعيه ، وتأثيره على الازمة الاويدية في داخله ..
ومن هنا يمكن تبصر الحل لمعرفة كيف يساعد ، عندما يضع عبر أسئلة متابعته لهؤلاء
الاشخاص الاسئلة الخاصة المتصلة بثقافتهم الشخصية .

إذ أن الأمر المهم اليوم للمشتغلين بالتحليل النفسي وغيره من التخصصات النفسية العلاجية
الأخرى ، ان يدرك ان بداخل كل شخص نقاط غريبة عنده وعن الآخرين ، نقاط لثقافة مختلفة ، لابد
ان تؤخذ بعين الاعتبار ، بمعنى اجتناس معاني الغربة والغربة عند كل منهم ..

من هنا يستطيع النفساني أن يدرك كل التصورات او التوهّمات أحياناً ، التي تأتي اليه من ثقافته الشخصية .
تلك التصورات الغير مقبولة والممكن ان تكون مقبولة في ثقافة أخرى مثلاً ، وبذلك لا غربة
ويمكن ان نشاهد نظرية غريبة اليوم تخص الانا والذات والآخر ، في ظل كم المهجرين والمعنفين
المنتشرين في اصقاع الأرض من سوريين وعراقيين على وجه الخصوص من عرب او غير عرب ،
هذه النظرية يمكن ان يعمل لها استخدام (جنسي ..عربي .. ذاتي ، نقدر أن نبني عليه، وان نعمل
افتراضاً عليه ، وكأنه بات موضوع غير معرف : لا انا له ولا ذات .

فعندما لا نشاهد مقاييس مفصلة على كل الناس ، لابد كنفسانيين أن نقيم وجود مقاييس أخرى ،
مقاييس تتصل بتقييم الذات والانا ، لمن هم في حكم عملنا وموضوع تخصصنا ..

أما الايمان فيتخطى الطبيعة وله طابع عقلي ، والمعنى هنا ثابت . ولكن المتغير هو بالاختيار
والتعبير ، الذي يمثل المدلول كمتحرك والدال كتابته . وبذلك نجد توفيق بين دنيوية العالم وجذرية
الايمان . والاختبار الروحي وفقاً "ليوسف مونس" : هو اختبار مكوّن للطبيعة الانسانية ، كما أن
الاختبار العقلي هو اختبار ملازم للوضع البشري .ولكن الاختبار الروحي ليس هو بنية مضافة بل هو

بنية قائمة في قعر الذات الانسانية كما هو الجنس والجوع والعطش هو بنية مكونة للشخص البشري، كما هي البنيات الأساسية للذات الانسانية كالحاجة الى التنفس والغذاء . (العلم والدين والتحليل النفسي ، يوسف مؤنس ، ص97)

الاختبار الروحي ليس هو بنية مضافة بل هو بنية قائمة في قعر الذات الانسانية كما هو الجنس والجوع والعطش هو بنية مكونة للشخص البشري، كما هي البنيات الأساسية للذات الانسانية كالحاجة الى التنفس والغذاء . (العلم والدين والتحليل النفسي ، يوسف مؤنس

مراجع النص

- 1 - العلم والدين (2007) : أعمال المؤتمر الدولي الثالث للمحللين النفسيين العرب ، بيروت 17-19 أيار . ، دار الفارابي ط1 : 2008
- 2- جورج قرم (2007) : المسألة الدينية في القرن الواحد والعشرين ، ترجمة خليل أحمد خليل ، دار الفارابي ، بيروت ، ط1
- 3- أوتو فنيخل : نظرية التحليل النفسي في العصاب (الكتاب الثاني) ، ترجمة : صلاح مخيمر ، عبده ميخائيل رزق (2006) ، مكتبة الأنجلو المصرية .
- 4- عبد الرقيب البحري (2007) : الديناميات الوظيفية للشخصية النرجسية ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط1

**** **

الشبكة تدخل مامها الثاني عشر..العقاد

شعـن / اربابسينـات ... صـاد أـمـد شعـر مـامـا

نحو تعاون ببيعربي اكاديمي رقبيا بالعلوم النفسية و خدماتها
الكتاب السنوي الثاني لمنبـرات " ش.ع.ن "
www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet11Years.pdf

*** **

Arabpsynet

Arabic Edition

<http://www.arabpsynet.com/>

شبكة العلوم النفسية العربية

دعوة للمساهمة في التعريف بمشروع الشبكة العلمنفسية الأكاديمي

(التعريف بموقع الشبكة هو شكل من اشكال الدعم في غياب رسوم الاشتراك في خدماتها)

نأمل من الاساتذة الكرام التعريف بالشبكة في مؤسساتهم الجامعية و الاستشفائية

من خلال توزيع " اللوحة الاشهارية " التالية او ادراجها ضمن معلقات مؤسساتهم العلمية او الاستشفائية



www.arabpsynet.com/Documents/PubAPN.pdf